

## الفصل السابع

حاولت مرارًا أن أخبرها بما يفعله زوجها معي ولكن للأسف ضربت بكلامي عرض الحائط وكانت تفسر كلامي غيرة منها إنها جميلة وتزوجت وأنا وأختي لم يتقدم أحد لخطبتنا، شعرت بجرح كبير من كلامها لم أعد أكن لها أي احترام داخلي، وربما أكثر شعرت بكره شديد لها ولنفسي، كنت أظن أنها ستثور، ستخرجه من حياتنا، ولكن للأسف تمسكت به أكثر، أحبته أكثر، وأصبحت أنا ولى مصدر تعب لها، هي تخلصت من هزار وزوجتها قبل وفاة والدي وسافرت مع زوجها فهو يعمل بكندا.

وبقيت أنا ولى عائقًا في طريق سعادتها.

تملكتني تلك الفكرة التي قالتها أنت في الثامنة عشر من عمرك ولم تتزوجي وهذا يجعلك تريدين أن تزرع الشك في حياتي، وبدأت

أكلم نفسي هل حقاً أنا لست جميلة؟ حتى أنني لم أتزوج هل فاتني  
القطار.. تزعزت ثقتي بنفسي.

زاد استهتاري وكل ما أفعله هو أنني أريد أن أثبت أنني مرغوبة  
وجميلة.

لا أعلم ما الذي جعل لى في تلك الليلة تتقرب مني تجلس  
بجانبي تتلمس شعري بحنان لم أعتده منها، ربما تلك الدموع التي  
كانت تنهمر من عيني في كل ليلة قبل النوم، حياة حببتي بعد موت  
الأب، وزواج أختنا هزار، لم يبق سوانا لما لا نكون صديقتين تحكي  
لي همومك وأنا بدوري أخفف عنك.

رغم أن تصرفاتي لم تكن تروق لها وتكره استهتاري ولكنها  
كانت لطيفة جداً وتتقرب لي.

انتفضت من الفراش وسألتها بلؤم: مارأيك في زوج والدتك.

أخبريني كيف هي علاقتك به. وماذا يفعل حين تذهبين  
إلى المكتب، لو تكلمتي سأخبرك بكل شيء بدوري، ما  
رأيك؟.....

- لا تريد الكلام، حسناً استعدي إذا أنا سأتكلم حين أذهب إليه  
يعاملني على أنني عشيقه له ومؤكد تعلمين ماذا يعني عشيقه.

وأخبرت والدتنا بكل ما يفعل معي، ولكنها صدتني وقالت  
أنني أكذب وأريد أن أشكك بزوجها وحببيها أنانية مني وغيره هو  
تفسيرها لما قلت.

ما رأيك أنت..؟ تكلمي لى أقسم هذا ما يحدث، ومنذ زمن  
طويل وفي كل مرة أذهب فيها إليه يحدث نفس الشيء.

- قالت لى:

هو ذات الشيء يحدث معي ولم أتصور أنه يفعلها معك. أي رجل  
قذر هذا قتل والدنا ويريد تحطينا.

- أخبريني لى ما قصة المال الذي نحضره منه.

المال هو من أبينا تأخذه والدتك منه وتعطيه لهذا الرجل يعمل  
به ويعطيها الأرباح.

إذا سرق من والدنا زوجته وماله وشرفه ونحن.

نزلت كلماتي كالصاعقة عليها

وضحكت ضحكة عالية هي نوبة من الجنون الهستيري

ارتميت على صدرها وأنا بين بكاء وضحك، أخذتني إلى  
صدرها ضممتني إليها وكلانا يبكي.

وكانت أول ليلة ننام فيها معا، عانقنا خيبتنا وحزننا ونمنا مع القهر في سرير واحد.

وبعد منتصف الليل أفقت من نومي على صوت ضحكات والدتي..انسحبت من السرير بحيث لا تشعر لى، وخرجت من غرفتي، نزلت الدرج، ووقفت خلف الباب، سمعت ضحكاتها وهمس الرجل بكلمات جعلتني أزداد اشمئزاً من كلاهما، لم أعد أعلم ماذا أفعل !! ناديتها أن تخرج إلي هي وزوجها لم أعد أعرف ماذا أفعل؟ ترى لي والدي يقف ويسمع ما يحدث، يطردها وإياه من منزله وبعد برهة خرجت.

- مابك هل أصابك الجنون؟؟

- نعم أنا مجنونة ولا يمكن أن يجاسب المجنون على مايقول نادي ذلك الحقير يخرج من بيتنا

أسمعين...وإلا أقتله أمام عينيك، دعيه يخرج من بيت أبي، الذى لطخه وحطمه.

- رفعت يدها وصفعتني على وجهي وهنا زاد جنوني وصرaxي أفاقت لى على صوتي

- ماذا حدث؟ مابك حياة؟

- تعالي لى وانظري هذا النذل في بيتنا في فراش أبينا!

ومع كل هذا الصراخ والكلام لم يخرج زوجها من الغرفة وهي تحاول إخراسي حتى لا يسمع ويتركها، تعالي لى وانظري كيف هو معنا ومع والدتك عاشق!!

- أخبري والدتك ماذا يفعل معك، هي لم تصدق كل ما قلت لها، أخبريها لى!

وخرج زوجها مرتديا ملابسه وقبل خروجه من المنزل

قال لها:

لن ترين وجهي طالما أني لست محترما بهذا البيت. وهي ترجوه ألا يخرج توصلت إليه لكن لم يسمع منها «أغلق الباب في وجهها، كذب الكذبة وصدقها.

وعادت إلينا تصرخ في وجهنا:

- لماذا ألا يكفيني شقاء؟ دعوني أعيش مع رجل يحبني ويحبكم، ماذا تريدون أكثر مما يقدمه لكم؟

وكأنها لم تسمع كل ماقلته لها من لمسه لى ولأختي لى. دخلت غرفتها تبكي ونحن ننتظر خارج الغرفة، تصورت للحظات أنها ستنادى علينا وتخبرنا أنها صدقت كل ماقلته لها عن زوجها، وإنما لن تستطيع العيش بدوننا، ولن يكون لهذا الرجل مكان بيننا بعد

اليوم ولكنها لم تخرج من غرفتها، ذهبنا لغرفتنا نجر وراءنا أذيال الخيبة.

وفي الصباح لم نجد لها بالبيت، أخذت كل ما يخصها، وتركته دون وداع.

وبقيت وأختي ولمى وحدثنا، تارةً نبكي وأخرى نضحك، لم ندرك ماذا حدث، هل حقاً تركتنا من أجله، أيعقل.. لانعني لها شيئاً، ألف سؤال وسؤال، دون جواب، ومرت علينا شهور على هذا الحال لا نعرف عنها أي شيء سوى بعض الهمس من الجيران أننا طردناها من البيت حتى نعيش على هوانا دون رقيب.

كنت حينها بمدرسة خاصة وقد دفعت قسط المدرسة كاملاً، ولم يعد معنا أنا وأختي ما نصرف منه قررت أن أترك المدرسة، لم أكن أهتم بالدراسة عكس لمى فهي متفوقة في دراستها، وخطرت لي أن أسحب القسط من المدرسة.

وفي الصباح ارتديت بنظاًلاً أسود وقميصاً أسود لتظهر عليّ معالم الحزن ذهبت للمدرسة بعد غياب طويل لم أجد صعوبة في اختراع كذبة تقنع الإدارة بإعادة المال لي. فور دخولي الإدارة وجدت نفسي وأنا في حالة حزن أخبر المديرية أن والدي توفي، اجتمعت المدرسات على هذا الخبر في حزن وتأثر وأنا أجهش بالبكاء استحضرت برأسي كل ما يجعل دموعي تنهمر دون عناء،

حتى فقدت الوعي أفقت، من غيبوبتي تلك والمدرسات فوق رأسي  
يكيين في تأثر لما أنا به من حزن. وأخبرت المديرية أن لا وارد لدينا أنا  
وأختي لذلك يجب أن أترك المدرسة وهذا المبلغ يساعدني إلى أن أجد  
عملا، وعدتني المديرية أن تعيد لي قسط المدرسة كي أتدبر أموري.

بعد يومين طلبتني المديرية، توقعت أنها ستعيد إلي المال، دخلت  
المكتب متشحة بالسواد وجلست على الكرسي المقابل لها، نظرت في  
عينها. وجدت لمعة غريبة وكأنها علمت شيئا ما، انتابني خوف من  
نظرتها وأنا أنتظر أن تتحدث إلي.

- بدأت المديرية حديثها...

أخبريني حياة: كيف توفيت والدتك!؟

- هدوئها جعلني أتأكد أن هناك شيئا ما تريد أن تفصح به ليس  
لصاحي يبدو أنني خسرت الجولة.

بدأت دموعي تنهمر وأنا أبتلع أنفاسي قلت لها: والدتي لم تمت  
لكنها بعد وفاة والدي تركتنا وذهبت تعيش مع زوجها الجديد  
وبقيت أنا مع أختي بمفردنا في البيت أليست ميتة بالنسبة لي..؟  
كنت أبكي وكلماتي المتقطعة لا تكاد تفهمها. هل من الممكن  
أن أخبر الإدارة كلها بقصتي تلك لقد شعرت بالطمأنينة واعتبرتك  
أختي الكبيرة لذلك أخبرتك الحقيقة.

- خرجت من وراء مكتبها وتقدمت نحوي وربتت على كتفي

وقالت:

- حسنًا يا بنتي كفا بكاء وأذهبي لصفك وانتبهي لدروسك وانسي كل شيء لا يفيدك الآن إلا شهادتك وأعدك بالمساعدة.

كانت تتكلم وأنا أبكي بحرقة. لقد ذهب المال الذي أطمع باسترداده، خرجت من الغرفة وأنا في حزن أعمق مما كنت فيه.

ولم أعلم سبب استدعاء الإدارة لي وما الذي دفعني أن أخبرها الحقيقة أخبرتني إحدى صديقاتي أنها رأت والدتي في غرفة الإدارة. وقفت مذهولة. وشكرت الله أنه ألهمني بأن أكون صادقة مع المديرية وفي باحة المدرسة قبل الانصراف أخبرتني فراشة المدرسة بما حدث في الإدارة.

كيف عرفت إدارة المدرسة بعنوان الأم وقد غادرت البيت مع زوجها؟؟

قالت: دخلت والدتك الإدارة كانوا قد أرسلوا إليها ورقة بسبب غيابك المتكرر عن المدرسة الفترة الأخيرة، عرفت نفسها أنا والدة حياة وقف المدرسون في ذهول وبصوت واحد «المرحومة» أصفر وجه والدتك وأصابها الدهول حتى أن هناك مدرسة كانت تعرف والدتك من قبل، وحين رأتها قبل أن تعرف عن نفسها وقعت مغمى عليها حين رأتها، أخبروها المدرسات بما أخبرتهم عنها وبدا

الأسف على وجهها. وبالغت المدرسات بلومها بسبب زواجها وتركها لك.

طبعاً أخبرتهم والدتك أنك أنت من طلب منها ترك المنزل لأنه منزل أبيك، وهنا نقت عليك أغلب المدرسات، وتمتت بكلمات لم أفهمها أنا نفسي. علمت حينها سبب نظرة الازدراء من المدرسات وتغير معاملتهن لي بعد ذلك بعد أن كنت مركز اهتمامهن لمشاركاتي ونشاطي الذي كان يشهده الجميع. أصبحت أتغيب عن المدرسة كثيراً كانت نتيجة السنة متوقعة الرسوب وبجدارة.

كانت خسارة زوج أمي كبيرة بعد أن تمردت عليه فما كان منه إلا أن ملأ صدر أمي بالحقد علينا. لم أهتم لما أسمعته على لسانهم من كلام لم يعد يعنيني بشيء فهو لم يعد الوسيط ولا العصا السحرية التي تلبني لي طلباتي بعد خروجهم من البيت. أفعل ما أشاء ومتى أشاء أسهر، وأرقص. حتى أنني أبيت عند بعض الصديقات أحياناً.

أحسست برغبة كبيرة في تلك المرحلة وحاجة ملحة أن أكلم محمود ربما لأنني أردت أن أعرف إحساس الحب مع نشوة القرب، لأعوض تلك الحالة الغريبة التي كنت أعيشها مع زوج أمي. وكان محمود دائماً هو الذي أمام عيني وفي خيالي لماذا لا يكون هو الواقع أيضاً والآن!!